سُقـــوط
النبي صلى الله عليه وسلم
من أعلى الناقة

دروس وعبر

الدكتور
إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا الكتاب عبارة عن موقفٍ حَدَث لخير البشر ﷺ ،وكان راكبا مع زوجته صفيّة بنت حيي بن أخطب أمّ المؤمنين رضي الله عنها ،حيث سقط وإيّاها من أعلى النّاقة، فهي قصّة قصيرة ،نُبْحِر بين سطورها ، نسْتنْبط منها الفوائد ،ونلْتمِس منها الفرائد.وأسميته :(سقوط النبي ﷺ من أعلى الناقة دروس وفوائد).

وخطة الكتاب : ذكرتُ الحديث ثم الفوائد منه ،وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة ،أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي ، وحاولت أن استوعب جميع فوائد الحديث . وقد يكون للحديث عدة روايات، فلم استقص بذكر أرقام الروايات الأخرى .وإنما اكتفيت بما أوْردت .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

Ebrahim .F .W@Gmail.com

الحديث

عن أنس بن مالك ﷺ أنه أَقْبَلَ هو ، وأبو طلحة مع النبي ﷺ ،ومع النبي ﷺ صفية مُرْدِفَها على راحلته، فلما كانوا ببعض الطريق عَثَرَتِ الناقة، فَصُرِعَ النبي ﷺ والمرأة، وإن أبا طلحة – قال أَحْسِبُ قال – اقتحم عن بعيره[١] فأتى رسول الله ﷺ فقال:يا نبي الله جعلني اللهُ فداءَك، هل أصابك من شيء؟ قال :«لا، ولكن عليك بالمرأة». فألقى أبو طلحة ثوبه[٢] على وَجْهِه، فقَصَد قَصْدَها[٣] فألقى ثوبَه عليها، فقامت المرأة، فشدّ لهما على راحِلَتِهِما فَرَكِبا، فساروا حتى إذا كانوا بظَهْر المدينة – أو قال أشرفوا على المدينة – قال النبي ﷺ : «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون». فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة . [٤]

---

(١) اقتحم عن بعيره أي : نزل عنه .(فتح الباري لابن حجر ١٧٠/١) .

(٢) الثَّوْبُ : ما يُلبس ليغطي الجسد أو جُزءًا منه ،وهو لِباس ، ويتخذ من الكتَّان أو القطن، أو الصوف ،أو الخزّ ، أو الفِراء ، أو غير ذلك (موقع قاموس المعاني مادة ثوب).

(٣) أي نحا نحوها ومشى إلى جهتها .(الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ٤٤/٢٢) .

(٤) صحيح البخاري ٧٧/٤ رقم ٣٠٨٦ . ٤٢/٨ رقم ٦١٨٥ . صحيح مسلم ٩٨٠/٢ رقم ١٣٤٥ .

الفوائد المستنبطة من الحديث

(١) لا بأس للرجل أن يتدارك المرأة الأجنبية إذا سَقَطَت، أو كادت تسقط فيُعينها على التخلص مما يُخشى عليها .[٥]

(٢) جواز إرداف المرأة خلف الرجل إذا كانت مَحرما له .

(٣) قوله:(اقتحم عن بعيره) أي :نزل بُعنف .[٦] لأنّ المقام يقتضي السرعة ، والشدّة ، فالذي سَقَط ليس شخصا عاديا ، إنما هو خير البشر ﷺ .

(٤) قوله:(فألقى ثوبَه على وجهه) فَعَل أبو طلحة ذلك لئلا يقع بصره على أم المؤمنين صفية رضي الله عنها [٧].وهذا من حُسْنِ أدب هذا الصحابي .

(٥) التقرّب إلى الله بخدمة العالم والإمام، وخدمة أهله.

(٦) الـمُسافرُ يَحْمَدِ اللهَ عند إتيانه سالما إلى أهله، ويَسْأل الله التوبة والعبادة.

(٧) أنه يجوز للمتكلم أن يُقَدّم المشيئة لله تعالى في أول كلامه، ثم يَصِلَها مما يحب إيقاعه من الفعل.

(٨) أن الرجل الفاضل ينبغي له عندما يُجدَّدَ له نِعْمة ،وسلامة أنْ يُقِرّ لله تعالى بطاعته، ويسأله دوام ذلك .

(٩) أدب الأنبياء مع ربّهم سبحانه . فهم يعترفون بِنِعم الله عليهم ، ويُذعنون، ويتبرؤون إليه من الحول والقوة، ويظهرون الافتقار إليه؛ مبالغة في شكره تعالى، ولتقتدي بهم أممهم في ذلك.

(١٠) تَحَجّبُ أمّهات المؤمنين ،وغيرهم من باب أولى . لذلك عَلِم النبي ﷺ بصلاح أبي طلحة ،وتقواه ،فأَمِن جانِبَه واستعجله ﷺ ليُصلح حال زوجته .[٨]

(١١) جواز قول : جعلني الله فِداءك .[٩]

(١٢) قوله :(ومع النبي ﷺ صفية مُرْدِفَها على راحلته) يدل على أن استصحاب الزوجة في السفر سُنّة.[١٠]

---

(٥) فتح الباري لابن حجر ٣٩٩/١٠ .

(٦) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري للكوراني ٥١٧/٩ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) من ٥-١٠ مستفاد من التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ٣٥٤/١٨ -٣٥٥ .

(٩) المرجع السابق ٦٠٦/٢٨ .

(١٣) قوله:(أنه أقبلَ هو وأبو طلحة مع النبي ﷺ) قيل من عَسْفان إلى المدينة .[١١]قال الدمياطي: هذا وهم، لأن غزوة عَسْفَان كانت سنة ستّ، وإرداف صفية كان في غزوة خيبر سنة سبع .[١٢]

(١٤) قوله: (أبو طلحة) هو زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه زوجُ أمِّ أنس.[١٣]

(١٥) قوله:((ومع النبي ﷺ صفية) فيه تَفَنُّن، ووضعُ الظاهرِ مَوْضِعَ الضمير لِدفْعِ تَوّهُمِ رجوعه إلى أبي طلحة، أو أنس رضي الله عنهما .[١٤]

(١٦) قوله: (لا ولكن عليك بالمرأة) الاهتمام الشديد بالمرأة مِن قِبل النبي ﷺ .[١٥]

(١٧) قوله:(أو قال أشرفوا على المدينة) بالشك من الراوي .[١٦] وقد يكون هذا من الدّقّة في وصف الموضع الذي وصلوا إليه .ومثْلُه قوله:(قال أحْسَبُ قال) بمعنى أظنّ[١٧] .هو قولُ أنس رضي الله عنه ، أو قول أحد رواة الحديث. وهو يدلّ على التحرّي في نقل الرواية ، والحرص على التثبّت.

(١٨) تربّى أنس رضي الله عنه في بيت أبي طلحة رضي الله عنه ،فكان كثيرا ماكان يُرافق زوج أمّه في سفره ، وغيره لخدمة النبي ﷺ .

(١٩) أنّ النبي ﷺ بشر ، قد يُبتلى بالألم ، والمرض ،والسقوط على الأرض، ونحو ذلك . وهو اختبار من الله له ، ورِفعَة لدرجاته .

(٢٠) محبّة النبي ﷺ لهذه الأسرة(أبوطلحة وأنس وأمّ أنس) رضي الله عنهم .

(٢١) روى لنا أنس رضي الله عنه هذا المَشْهد ، دون أن يَذكر لنا أنه قدّم شيئا ، ولا يُستَبعَد أن يكون قدّم خِدمة للنبي ﷺ خلال هذه الرحلة .

(٢٢) حُسْنُ عِشرة النبي ﷺ لأهله،وحبّه لهم ،وتقديمهم على نفسه الشريفة.

---

(١٠) شرح المصابيح لابن المَلَك ٣٦٣/٤ .

(١١) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح للبِرْماوي ٢٢٢/١٥ .

(١٢) المرجع السابق ١٣٨/٩ .التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي ٢٠٣١/٥ . منحة الباري بشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري ١٩٥/٦.

(١٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٠٢/٢ رقم الترجمة ٢٩١٢ .

(١٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي ملا القاري ٢٥١٥/٦.

(١٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ١٨٧/٥ .

(١٦) المرجع السابق ١٨٨/٥ .

(١٧) تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه ص ١٩٢ .

(٢٣) كان التنقّلُ ، والسفرُ في ذلك الزمان على الإبل . وهو أمر شاقٌّ ، ومُتْعِب .والسقوطُ من أعلى الناقة ، شيء فَضيع ؛ لأنّ مابين السنام إلى الأرض قرابة المترين[١٨] ، وقد يموت الشخص إذا سقط من الناقة .

(٢٤) حُبُّ الصحابة ﷺ لنبيهم ﷺ ، وخَوفِهم عليه .

(٢٥) قوله:(هل أصابك من شيء؟) فيه تَلَمُّسُ حاجة الرفيق ،والصاحب ، وتَحَسُسُ وضْعِه ، وأحواله ، والسؤال عنه . مما يزيد في المَحبّة ، ويقوي أواصر العلاقة.

(٢٦) قوله:(فقامت المرأة) دليل على أنّ إصابتها كانت خفيفة، أو أنّها لم تُصَب بشيء .وإلاّ لما قامت مباشرةً بعد السقوط .

(٢٧) قوله:(فألقى ثوبه عليها) أي : أنّه كان لابساً ذلك الثوب فنزعه ليستر زوجة النبي ﷺ ، حتى تُصْلِح من حالها ، ثمّ يعود فيأخذه ويلْبَسَه مرّة أخرى .ففيه جواز خَلع الثوب لضرورة أو حاجة ، والبقاء باللباس الداخلي الذي يستر عورته .

(٢٨) قوله :(فشدّ لهما على راحِلتهما) أي : أنّه أصلح لهما مكان الركوب على ظهر الناقة ، وأناخ لهما الناقة لتسهيل الركوب عليها .

(٢٩) جواز خِدمة الحُرِّ ، وعمله عند غيره .

(٣٠) مشروعية دعاء السفر ،ودعاء ركوب الدّابة، وغيرها مما يَنْقُل الإنسان.قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أن عَليّا الأزدي، أخبره أن ابن عمر(رضي الله عنهما) علّمهم؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر (كبر ثلاثًا)، ثم قال: "سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل"، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: "آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون" .[١٩]

(٣١) على المسلم أن يكون دائم الصلة بالله سبحانه وتعالى، في سفرِه وإقامته، متوكلًا عليه في جميع ظروفه وأحواله .

---

(١٨) الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا) مادة جمل عربي .

(١٩) صحيح مسلم ٩٧٨/٢ رقم ١٣٤٢.

(٣٢) كما يُسَن الدعاء السابق(حديث ابن عمر) في بداية السفر فإنه يُسَن أيضًا في بداية رجوعه من سفره، فإذا شرع في العودة إلى بلده قالَهُ، وزاد عليه الكلمات التي كان النبي ﷺ يزيدهن في رجوعه، وهي: "آيِبون تائبون عابدون، لربنا حامدون".[٢٠]

(٣٣) قوله:(آيبون) أي: نحن آيبون .والمعنى راجعون من السفر بالسلامة إلى أوطاننا. و(تائبون) أي: إلى الله من المعاصي والذنوب. و(عابدون) أي: مخلصون العبادة لله. و(حامدون)أي :شاكرون له على هذه النعم .[٢١]

(٣٤) أهميّة الدعاء في حياة المسلم .

(٣٥) افتقار العبد إلى الله ، وحاجته المستمرة له .

(٣٦) اختيار الرفقة في السفر .فاختار النبي ﷺ في سفره من خير أصحابه .

(٣٧) الإنسان لا يستغني عن غيره ، يقفون معه ، ويساعدونه في أموره .

(٣٨) نوَّع راوي الحديث في ذِكر اسم الناقة : فمرّة ذكرها الراحلة ، ومرّة ذكرها الناقة ، وتارة ذكرها البعير . وهذه مترادفات تدل على اسم واحد ، مما يدلّ على بلاغة الصحابي رضي الله عنه ، وسَعة اللغة العربية .

(٣٩) يُعتبر هذا الموقف الذي جرى للنبي ﷺ ؛ صُورة مُعبّرة ، ومؤثّرةٌ لما يُلاقيه النبي ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله .

(٤٠) هذا المَشهد نقله الصحابي أنس رضي الله عنه كما رآه ،وشاهده بعينه ، وأَشْرَف عليه بنفسه . لم يُحدّثْه به أحد ، ولم يسمعه من غيره .

(٤١) النّاقة هي كلّ شيء للعربي في تلك الصحراء الحارقة .

(٤٢) قوله:(جعلني الله فِداءك) في الغالب لا يُفدي الإنسان شخصاً آخر ؛ إلاّ إذا كان عزيزا عليه ، أو غاليا عِنده .

(٤٣) قوله:(جعلني الله فِداءك) توحي هذه العبارة بقوّة إيمان أبي طلحة رضي الله عنه ، في فِدائه للنبي ﷺ بروحه .

(٤٤) قوله :(عَثَرَت الناقة) تَعَثّرُ الناقة له أسباب كثيرة ، منها :وَعُورة الطريق ، أو مَرضٍ ألمّ بها ، أو ثَقُل عليها الحِمْل لطول الطريق ، ووعورته ، ونحو ذلك .

---

(٢٠) من ٣١-٣٢ مستفاد من مقال بعنوان: حديث دعاء السفر للشيخ عبدالرحمن بن فهد الودعان.موقع الألوكة .

(٢١) شرح المصابيح لابن المَلَك ١٩١/٣-١٩٢ .

(٤٥) قوله:(فلم يَزَل يقولها حتى دخل المدينة) أي :أنّه ﷺ أخذ يُكَرّر هذا الدعاء ، واستمرّ في تَرْدِيدِه حتى أشرف على المدينة . مما يدلّ على استحباب تكرار هذا الدعاء .

(٤٦) قوله:(ومع النبي ﷺ صَفيّة) هي صفية بنت حُيَّي بن أخطب من بني النَّضِير، من سِبْط لاوى بن يعقوب، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام. كانت تحت سَلاّم بن مُشْكِم، ثم خلف عليها كِنانة بن أبي الحُقيق، فقُتل كنانة يوم خيبر ، فصارت صفية مع السّبي، فأخذها دِحْيَة ثم استعادها النبيّ ﷺ فأعتقها وتزوجّها.[٢٢]

(٢٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٨/٢١٠ رقم الترجمة ١١٤٠٧ .